الوسطية في الفكر النقدي العربي القديم وأثره في قبول التجديد

د/ ليلى شعبان رضوان
د/ سهام سلامة
جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل / كلية الآداب- قسم اللغة العربية
المملكة العربية السعودية

ملخص البحث :
تشكل الوسطية قيمة كبرى لها قواعد كلية ، تتفرع إلى قواعد جزئية تطال الفكر الإنساني برمته ، وهي ليست حصراً على قضية فقهية أو سياسة أو أدبية أو اقتصادية ، بل ، هي كل هذا، وتتجاوزه لتكون منهاجاً إسلامياً في الحياة محكوماً بمبدأ إلهي ومبدأ أخلاقي معبر عنه بالعدل والخير ، ومن هذه الناحية تختلف عن الوسطيات الأخرى (نظرية العدالة الأفلاطونية، ونظرية الوسط الأرسطية، والوسط الذهبي ، الذي قال به كونفوشيوس) ،فالشريعة الإسلامية صريحة وواضحة ، وهي تتحمل أن تكون منهجاً لأي إنسان في أي زمان ومكان بفضل وسطيتها وتوازنها وتكاملها ، فوسطيتهاهذه قوة كامنة مكنتها من الانتقال والانتشار بين أمم الأرض المختلفة معهم لساناً وعقيدة ؛ لأنها الحضارة الوحيدة التي تصالحت في منظورها الوسطي مع الثنائيات الكبرى المتضادة .
فالوسطية منهج حياتي وفكري جسده كثير من المفكرين والأدباء والمفسرين العرب قديما متأثرين بالدين الإسلامي ، فاهتدوا إلى كثير من الحقائق الإنسانية ، ورأوا أن الخير أو الفضيلة في الوسطية وأن الشر والرذيلة في التطرف .
وبناء على هذا الفهم للوسطية ارتأيت دراسةمفهوم الوسطية لدى النقاد العرب من خلال قضيتي اللفظ والمعنى والخصومة بين القدماء والمحدثين ، وإبراز موقف النقادالذين اتخذوا موقفاً وسطاً في نقدهم الأدبي ، ووقفوا بين الغلواء والمبالغة والاعتدال ، وقاموا بالتخفيف من حدة الصراع حول القضيتين الإشكاليتين في النقد العربي، وبينوا أهمية الوسطية بوصفها الطريق الآمن التي ينبغي أن يسلكها الناقد للوصول إلى حكم نقدي سليم بعيد عن الخصومة والتناحر ، فأسسوا بذلك بيئة نقدية يسودها الأمن الفكري ،معيارها الوسطية في تحديد الجمال في الشعر.
ويهدف البحث إلى تبيّن مفهوم الوسطية في الفكر النقدي العربي وأثره في قبول التجديد في الأدب والحياة الجديدة في العصر العباسي ، والعدل في الأحكام على الأشعار ، وإبراز مواقف النقاد المعتدلين ، وأثرهم في إخماد الصراع حول القضايا النقدية ، ووضعها في نصابها بعد أن احتدم الخلاف حولها . كما يهدف إلى الكشف عن ارتباط النقد العربي في الأغلب الأعم بالفكر الإسلامي ، فصدر النقادفي نقدهم عن مرجعية إسلامية ربط بين التوسط والجمال والكمال مع الحفاظ على صورة العلاقة بين الأديبين المبدع والناقد ، وقدرة الثاني على تغيير قناعات الأول مع المحافظة على الاحترام والود كي لاتتحول العملية إلى خصومة ومعضلة .
وتكمن أهمية الدراسة في أنها تبين الانحرافات الفكرية التي تبدت في دراسة بعض القضايا النقدية ، ونحت بها نحو التعصب والذاتية التي تحمل هوى النفس ، وضغائن الأحقاد ، وقد تمثلت بالتعصب لآراء بعينها مما أطال الصدام والاختلاف حولها ، فأهدرت كثيراً من الجهود التي كان بالإمكان توفيرها - فيما لو وجهت وجهة وسطاً - ، في دراسات أكثر جدوى ، كما تكمن أهميتها في تبصير الدارسين المبتدئين بخطورة النقد المبني على التطرف في الأحكام والاقتصار على التقريظ أو الذم وتسقط الأخطاء، وبيان الخلل وإذاعته وتضخيمه ،مما ينمي الخصومات والعداوات ، فتغيب الروح العلمية - كما نجد ذلك واضحاً في الكتب

والمجلات والمواقع الإلكترونية -، ولهذا خطورته على التيار الفكري السائد - في أي قطر عربي - الذي يسيطر على أنظمتها ورؤاها ويوجهها ، ويسود مؤسساتها الثقافية والتربوية ، ويتلاقح في عقليتها وقيمها وطرائق سلوكها ، ويتبدى في وسائل معيشتها ، وسلوك أفرادها .

أما إشكالية البحث فتتحدد في توضيح مرجعية الوسطية النقدية ، وما المقصود بالوسطية النقدية ، وما رؤية النقاد الوسطيين في القضايا النقدية ، وما قدمته الوسطية للنقد العربي .

وبما أن البحث يندرج في إطار نقد النقد فهو بحث في معرفة المعرفة , وتستدعي طبيعته اتباع المنهج الوصفي التحليلي الذي يهدف إلى عرض المفاهيم والقضايا وتمحيص دقتها وصحتها ومدى فعاليتها .

المقدمة :

لا يستقيم الحديث عن الوسطية في الفكر النقدي العربي بمعزل عن الحديث عن الوسطية الإسلامية ، كونها المرجعية الفكرية لكل الوسطيات في قضايا الفكر العربي ، فالوسطية هي المبدأ الكبيرالذي ميز المنهج الإسلامي في الحياة والفكر . فالوسطية ميزة للأمة الإسلامية ، خصها الله - سبحانه وتعالى - بها دون الأمم الأخرى بمخاطبتهم في القرآن الكريم:"وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا "[1] ، والوسطهنا كما جاء في كتب التفسير ، الخيار والأجود . وعندما خص الله هذه الأمة بالوسطية ، خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب[2] . ومعنى الأمة الوسط أنها أفضل الأمم وأعدلها وأكملها وأبعدها عن الغلو، فمثل هذه الأمة تحميها وسطيتها مما يلحق بأخواتها - إذا جانبت الوسطية- من النقائص والعيوب من جميع النواحي [3]. والوسطية اعتدال فلا تشدد ولا ترخص ، كما أنها عدل ، فلا يظلم أحد أحداً ، ولا يقدم طرف على طرف ، والوسطية توازن فلا يختل أمر على حساب آخر[4]. فالتوسط إذاً هو العدل والخيار, وذلك أنّ الزيادة على المطلوب في الامر إفراط ، والنقص عنه تفريط, وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة, فهو شر ومذموم , فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر, أي المتوسط بينهم [5].

يتضح مما سبق أن الوسطيةمزية فريدة للإسلام ، تحمل غير معنى ينتظر منها تحقيق سعادة

---

[1]() سورة البقرة ، الآية :143.

[2]( ) تفسير القرآن العظيم ، الحافظ ابن كثير ، دار الحديث – القاهرة ، ، ط1، 1408هـ 1988م ، مج1 ، ص 181.

([3])أصول المجتمع الإسلامية ، د جمال الدين محمد محمود ، ، الناشرون: دار الكتاب المصري - القاهرة ، دار الكتاب اللبناني - بيروت ، ط1، 1412هـ 1992م. ص :171

([4])مقومات الداعية الناجح ، د علي بن عمر بن أحمد بادحدح ، دار الأندلس الخضراء – جدة ، ط4 1422، هـ 2002م. ص 226 .

[5]() تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، مكتبة القاهرة (د.ت). 2/ 4.

العالم ، فرسالة الإسلام لاتزال ريا بالدلالات التي توجه إلى الإنسانية جمعاء ، حيث يقف وسطا بين الشرق والغرب، وإنه أثبت أكثر مما أثبت أي نظام سواه مقدرة على التوفيق والتأليف بين الأجناس المختلفة، فإذا لم يكن بدّ من وسيط يسوي ما بين الشرق والغرب من نزاع وخصام فهذا الوسيط هو الإسلام[6].

والوسطية التي ميزت الدين الإسلامي منحته سمة سعة الأفق والمرونة والقابلية للتجديد مسايرة الزمن ، وديمومة الصلاحية، والبعد عن الجمود والتعصب والعنف والهدم. فضلاً عن أن وسطية الإسلام تسعى إلى تحقيق منهج التوازن في حياة الإنسان الروحية والمادية بما يحقق له السعادة ، ويشعره بأهمية وجوده في هذا العالم .فالتوسط حالة محمودة غالباً تقوم في العقل الإنساني السليم بالفطرة وتعصمه من الميل إلى جانبي الإفراط والتفريط[7] .

وعندما ضرب المسلمون في الآفاق ينشرون دينهم الحنيف ، كانت الوسطية أساس تعاملهم مع الآخر ، فابتعدوا عن القهر والإجبار في معاملة المهزومين في البلاد المفتوحة و فرض دينهم و لغتهم بالقوّة ، فكان سلوكهم الراقي واحدًا في كلّ بلد دخلوه، ولم تعرف الشعوب قبلهم دينًا مسالما ، ولم تعهد فاتحين على هذا المستوى من المعاملة الإنسانية و الوداعة و التسامح.

و هذه المعاملات الإنسانية الراقية و قيمة التسامح التي يجهلها كثير من المؤرخين هي أحد أسباب التوسع السريع للفتوحات العربية و هي ،كذلك، السبب الرئيسي لذلك الاستقبال و القبول الكبير و الاحتضان الواسع الذي حظي به دين العرب الفاتحين و لغتهم . و لقد ظلت العناصر الأساسية لحضارة العرب كاللغة و الدّين،بعد زوال العرب، ثابتة راسخة في كل بلد دخلوه ولم يستطع أي غزو أو اجتياح أن يقتلعها أو يستأصلها[8].

ولعل تفسير هذه الظاهرة يكمن في الرسالة التي حملتها هذه الحضارة ، التي تميزت بالمرونة وبالقدرة على الحركة والعملية ، ولذلك اتسمت بديمومة الصلاحية لكل زمان ومكان مع مايحمل هذان العنصران من تحول وتغير ، وهذه الصلاحية المتجددة مستمدة من عنصر الوسطية أو التوازن أو التكامل أو التوافق أو الاعتدال .

فالوسطية الإسلامية ذات الأبعاد الفكرية والعملية أرخت - فيما بعد - بظلالها على مجالات الفكر المختلفة ومنها الفكر النقدي العربي ، فتأثر بها غير ناقد في تراثنا النقدي ، ممن حملوا فكراً وسطاً ، تجلى في نظرياتهم وتطبيقاتهم العملية ، فحاولوا التسوية والتوفيق بين تيارات مختلفة ومشارب متعددة ، احتدم الصراع بينها طويلاً، وجهدوا لأن يحددوا وظيفة النقد بأهله القادرين على دراسة الآثار وتقويمها وتحليلها أو تفسيرها ، وتقدير قيمتها والحكم عليها .

ومبدأ الوسطية ليست جرعة آنية تعطى للمرء / فيغدو وسطياً ، بل هي فكر ومعتنق ، يترسخ في الإنسان فكرة عن طريق التربية والسلوك والفهم الصحيح للإسلام والعلاقات الإنسانية الحقة كما حددها الدين الحنيف . وعند اختلال الفهم لحقيقة الدين ومنهجه ، تنتفي الوسطية ، وتسود الأفكار المتطرفة . وكذلك هي حال الفكر النقدي الذي لايخرج عن أنه تربية ،

---

[6]() عالمية الإسلام ، أنور الجندي ، سلسلة اقرأ 24، دار المعارف، ص : 43

[7]) (الوسطية في الإسلام للدكتور محمد عبد اللطيف الفرفور ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، ط2، 1414هـ / 1993. ص : 27

([8]) حضارة العرب ، غوستاف لوبون ، ترجمة : عادل زعيتر ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2013. ص: 443 – 446.

فالتربية السليمة بقبول الحوار والنقد الحواري ، وقبول الآخر ، وترسيخ القيم الأخلاقية ، يخلق عالما بعيداً عن الأنانية وانكسار القيم . وعلى هذا فالنقد يسهم في بناء الإنسان المتوازن الذي نهفو إليه .

مفهومالوسطية في النقد :

ربما لا نغالي إذا قلنا إن مفهوم الوسطية في النقد انبثق من قاعدة أخلاقية إسلامية ، تدعو إلى الصدق في القول والعمل ، وهو المفهوم الذي أسس للوسطية في الإسلام ، للوقوف في وجه الدعوات إلى المبالغة والكذب والحدة في القول التي ترى في الشعر صناعة ، والغرض في كل صناعة إجراء ما يصنع ويعمل على غاية التجويد والكمال ، إذ كان جميع ما يؤلف ويصنع على سبيل الصناعات والمهن فله طرفان ، أحدهما غاية الجودة ، والآخر غاية الرداءة ، وحدوده بينهما تسمى الوسائط ، وكان كل قاصد لشيء من ذلك فإنما يقصد الطرف الأجود "[9].

فمفهوم الوسطية ارتبط بالحكم النقدي إزاء الأشعار ، وتقرير جماليتها ، وتقدير قيمتها ، وهنا اختلف النقاد في مفهوم الجمال في الشعر ؛ فمنهم من يرى أن الجمال مرتبط بالحق والصدق ، ولهم أن يرفضوا الشعر الكاذب المبني على المبالغة والتهويم ، ومنهم من حدد جمال الشعر بما يبنى عليه من مبالغة وتمثيل ، ومنهم أيضاً من يستحل في الشعر التزيد ما يصير به القول شعراً من دون أن يخرج إلى الإحالة .

والنقاد الذين آثروا جانب الحق والصدق في الشعر ، اقتدوا بقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم - : " إنما الشعر كلام مؤلف، فما وافق الحق منه ، فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه "[10] ، وتبنوا الرؤية الإسلامية للشعر التي تجنح إلى تخليص الفن من تهويمات النفس .فأصحاب هذا الموقف يرون الصدق معادلاً للجمال ، لأن الفهم " يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق ، ويستوحش من الكلام الجائر ... والمحال المجهول المنكر" [11].وعلى هذا لايرون الجمال إلا في الاعتدال .

أما من آثر المبالغة ، فلأنه وجد فيها ضالته في التأثير في سامعه [12]من جهة ، ولإيمانه أن الشعر لايصور الحقائق ، لأن هذا من شأن غير الشعراء ، فالشعراء تقوم صناعتهم على تحسين القول [13]. وأصحاب هذا المذهب لايتحرجون من ذكر الفحش والرفش في الشعر .

وهناك الموقف الوسطي ، الذي يتوسط بين الطرفين المذكورين ، وهنا يعمد الشاعر إلى الاقتصاد ، فيكون بين بين .

ومهما اختلفت الأقوال في مذاهب الشعراء ، فإن مفهوم الوسطية في تراثنا النقدي ، قد انبثق من مفهوم وسطية الإسلام ،فعبر النقاد عنه بمصطلحات متعددة كالتوافق والانسجام والتناسب والاعتدال ، وجعلوا الاعتدال أساساً في التحديد الجمالي لما هو جميل . وعنوا

---

[9]( ) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان (ب. ت) . ص: 64.

[10]( ) العمدة في صناعة الشعر ونقدة ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق ، النبوي عبد الواحد شعلان ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط1 ، 2000، 22/1

[11]() عيار الشعر ، ابن طباطبا ، تحقيق : عبد العزيز بن ناصر المانع ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1985. ص: 21.

([12]) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، ص: 94.

[13]() المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره ، ابن وكيع التنيسي ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار قتيبة ، دمشق ، 1982 . ص: 178

به الموقف الوسط والمرتبة الوسطى بين طرفين مذمومين، أي بين التقصير والإفراط، أو التفريط و الإفراط. فالناقد الوسطي يربأ بنفسه من التحيز أو الارتزاق، فينحرف بنقده ، ويتناسى أن النقد نظام فكري يرتبط بالفكر العام ، بل ويمثل أعلى مراحل الفكر العام ، ويسوس هذا الفكر ويوجهه ويهديه لدى أمة ما . ولو لم تكن هذه الأهمية لما أولته الدولة السعودية هذه الأهمية في منتدياتها الأدبية وملتقياتها العلمية الدورية .

ولكن النقد العربي لم يكن وسطياً بجملته بل عانى كثيراً من معضلة الثنائيات، تجلت في التقسيم الثنائي ، إذ ظهرت مجموعة من الثنائيات في الدراسات البلاغية والأدبية والنقدية كثنائيات اللفظ والمعنى، والشعر والدين ، والصدق والكذب ، والطبع والتكلف، والقدماء والمحدثين ،وكل ثنائية تحمل في جوهرها عنصر التضاد الذي خلق التوتر والصراع على مدى عصور لتأرجحها بين التقصير والغلو ، إلى أن حلها نقاد وسطيون تبنوا الموقف الوسط (التوسط والاعتدال) ، فحفظوا التوازن بين حدود تلك الثنائيات، وكسروا حدة الآراء التي تشبث بها بعض النقاد الذين اعتقدوا أن مهمتهم الإخلاص للقديم للحفاظ على العربية ، فقاوموا كل جديد ، وصموا آذانهم عن دعوات التجديد .

فقد حملت كل قضية بذور الخلاف فالموقف من اللفظ والمعنى و القديم والحديث ، والسرقات – على سبيل المثال - قسم النقاد فريقين ، وكل فريق يعضد موقفه بآراء قد تتعارض مع الآخر ، وكل فريق يتمسك بموقفه ، إلى أن قيض للقضايا تلك من حلها بموقف وسطي يرضي الفريقين ، فجسر بموقفه الوسطي الهوة بينهما ، ووضع القضية في نصابها ، كما سنبين في بحثنا بعون الله .

نخلص مما تقدم أن نقدنا العربي عبر عن الوسطية بمصطلحات : التوسط والوسطية والاعتدال والتوافق والتوفيق والتناسب والتوازن ، وسمي النقاد الذين جسدوا هذه المفاهيم في نقدهم بالتوفيقيين أو أهل الاعتدال .

الوسطية والاعتدال في الفكر النقدي

قضية اللفظ والمعنى

ذكرنا أن الوسطية في النقد تولدت من الصراع النقدي حول بعض القضايا النقدية ، ولعل أول هذه القضايا ، قضية اللفظ والمعنى التي شغلت حيزاً واسعاً في الثقافة العربية الإسلامية ، لاستنادها إلى تساؤل كبير عن إعجاز القرآن ، وما أعقبه من خلاف حول طبيعة الإعجاز ، أهو في لفظه أو في معناه ، ثم انتقل هذا التساؤل من القرآن المعجز إلى النص الأدبي .

لقد تناول الباحثون القضية على اختلاف بيئاتهم ومعارفهم ، فاختلفت فيها الآراء ، وتعددت النظريات بما لم يتح لهذه القضية أن تشكل ثنائية مفهومية بحيث "يغدو كل طرف من طرفيه دالا على تصور محدد...ودالا على تصور لازم لعلاقته بالآخر، أو أن يكون حضور هذا الزوج بطرفيه مقترنا بتصور محدد لطبيعة العلاقة بينهما، سواء داخل المجالات المعرفية المختلفة، أو داخل مجال واحد"[14] ، لأن تعامل كل طرف معها كان يختلف مع الآخر، بل ويكاد يتضاد معه، ونحن لن نفصّل في مواقف النقاد العرب ، بل سنحاول أن نبين الموقفين المتعارضين منها ، وما استتبعهما من عراقيل مما كان له أثره في توجيه الدراسات النقدية وجهة محددة، ثم نوضح أثر الموقف الوسطي في التقريب بين المتباعدين .

([14]) اللفظ والمعنى بين الإديولوجيا والتأسيس المعرفي للعلم: طارق النعمان، سينا للنشر، الطبعة الأولى. 1994م. ص: 7.

فالقضية إذاً شغلت النقاد العرب ، وانقسموا حولها شيعاً وطوائف ، فطائفة جعلت الحسن في المعنى ، وأخرى رأت الجمال في اللفظ ، وثالثة سوت بينهما ، وجعلت نصيبهما من الجمال واحداً . أما الذين نصروا اللفظ كقدامة بن جعفر ، وأبي هلال العسكري وابن المعتز ، فقد نظروا إلى الشعر على أنه صناعة تتناول الشكل (اللفظ) لا المعنى ، وللشاعر أن يتكلم على ماشاء من الموضوعات ، مهما بلغ تطرفها ، وإن جانبت الأخلاق ، وأغفلوا دراسة اللفظة المفردة بذاتها دراسة مفردة ، ولم ينظروا إليها من خلال سياقها ولهذا لم يدركوا الوظيفة الخطيرة التي تؤديها المفردة بتفاعلها وتناسقها وتآزرها مع غيرها من الألفاظ التي تشكل السياق ، وتبرز ماهية التشكيل الجمالي للنص ، وفاتهم أن يتبينوا – نتيجة موقفهم المتطرف من القضية – العلاقة التي توحد بين اللغة والشعر ، وبين النحو والبلاغة .

وأما من نصروا المعنى على اللفظ ، فقد رأوا ان الشعرية تتحقق في المعنى الحكيم والقول الدال فقط . وأخيراً من وقفوا موقفاً وسطا، ويمثلهم الجاحظ الذي عرف بمواقفه الوسطية في قضايا الفكر كلها متأثراً بمفهوم الوسطية في الفكر العربي الإسلامي[15]إذ يورد كثيراً من آي القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال الحكماء والسلف الصالح شواهد على مايقول . وهو علاوة على ذلك يدعو صراحة إلى الوسطية في انتقاء المعجم اللفظي فـ " كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً وساقطاً سوقياً، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً" [16]، وذلك لتحقيق الإفهام كما يتجسد في وضوح الدلالة . إلا أن الغامض المحتاج إلى التأويل لا يقتضي توظيف الغريب أو الوحشي، ذلك أن خفي الدلالة يولده السياق أساساً .ثم يقول "من أراد معنى كريماً فيلتمس لـه لفظاً كريماً، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف" [17]، فالمعنى الكريم واللفظ الكريم يشكلان ثنائية تحكم صلة المعنى باللفظ ، تتأسس وفق خواص في المعنى ذاته من حيث الوضوح والالتباس وذلك في قوله: "إنما الألفاظ على أقدار المعاني، فكثيرها لكثيرها، وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها، وسخيفه السخيفها، والمعاني المفردة البائنة بصورها وجهاتها، تحتاج من الألفاظ إلى أقل مما تحتاج إليه المعاني المشتركة، والجهات الملتبسة" [18]؛ فإذا كانت العلاقة بين الطرفين تقوم على أساس كمّي فإن تفاعلهما تعمقه طبيعة المعنى ذاته، ذلك أن الغموض والالتباس يحتاجان إذا قصد التوضيح إلى الإطالة والشرح ، إذ إن عملية التفاعل محكومة بخصوصية في المعنى ذاته ، ويتأكد هذا المجرى من منظور الكم أيضاً، فالمعاني "إذا كثرت والوجوه إذا افتنت، كثر عدد اللفظ، وإن حذفت فضوله بغاية الحذف" [19].

وانطلاقاً من هذه العلاقة بين المعنى واللفظ المحكومة بفكرة الإبداع ، يكون إيلاء أحد الطرفين الأولوية في التعبير مساً وتشويهاً لعملية التعبير نفسها، فشر "البلغاء من هيّأ رسم المعنى قبل أن يهيئ المعنى عشقاً لذلك اللفظ وشغفاً بذلك الاسم حتى صار يجر إليه المعنى

([15]) البنية الجمالية في الفكر العربي الإسلامي : د. سعد الدين كليب، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ، 1997.ص : 176

([16])البيان والتبيين، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ومطبعة المدني بمصر ، ط7 ، 1998. 1/ 144.

[17]( ) السابق ، 1/ 136.

[18]() الحيوان، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة بابي الحلبي ، مصر ، ط2 ، 1965. 8/6 .

[19]() البيان والتبيين ، الجاحظ ، 4/ 28.

جراً ويلزقه إلزاقاً" [20]، ذلك أن عدم إيفاء المعنى الغامض في ذاته حقه في اللفظ الملائم والمطابق والتعلق ببراعة اللفظ ونشدانه إحداث لعدم التوازن بين طرفي الدلالة "فاختر من المعاني ما لم يكن مستوراً باللفظ المنعقد مغرقاً في الإكثار والتكلف فما أكثر من لا يحفل باستهلاك المعنى مع براعة اللفظ وغموضه على السامع بعد أن يتسق له القول وما زال المعنى محجوباً لم تكشف عنه العبارة فالمعنى بعد مقيم على استخفائه وصارت العبارة لغواً وظرفاً خالياً" [21]. وتأسيساً على ما سبق تكون "القاعدة الأولى والعامة لعلاقة اللفظ بالمعنى تقوم عنده على مطابقة اللفظ للمعنى" [22] ، والجاحظ في استخلاصه هذا المبدأ ، يقول : "من علم حق المعنى أن يكون الاسم لـه طبقاً، وتلك الحال لـه وفقاً، ويكون الاسم لـه لا فاضلاً ولا مفضولاً، ولا مقصراً، ولا مشتركاً، ولامضمناً" [23]. وإن لم نف الأصل حقه من العناية ، سيؤول إلى اختلال التوازن بين الألفاظ والمعاني ، فيطغى أحد الطرفين على حساب الآخر، فالزنادقة مثلاً : "أصحاب ألفاظ في كتبهم، وأصحاب تهويل، لأنهم حين عدموا المعاني ولم يكن عندهم منها طائل، مالوا إلى تكلف ما هو أخصر وأيسر وأوجز كثيراً" [24]. وبرأيه، إن الأديب، إن استطاع، ببلاغة قلمه، أن يكسو معانيه " الألفاظ الواسطة، التي لا تلطف عن الدهماء، ولا تجفو عن الأكفاء"[25] فهو البليغ التام.

ولعل موقف الجاحظ الوسطي ، يزداد وضوحاً في قوله عن جمالية التوسط في التعبير ، وفضله في الإفهام والتوقي من الخطل : "فالقصد من ذلك ، أن تتجنب السوقي والوحشي، ولا تجعل همك في تهذيب الألفاظ، وشغلك في التخلص إلى غرائب المعاني، وفي الاقتصاد بلاغ ، وفي التوسط مجانبة للوعورة، والخروج من سبيل من لا يحاسب نفسه..... و ليكن كلامك بين المقصر والغالي، فإنك تسلم من الهجنة عند العلماء، ومن فتنة الشيطان"[26] ، وربما تفرد الجاحظ بين الأدباء في وسطيته ، فهو لم يترك مجالاً من مجالات الحياة والفكر إلا وذكر الوسط المحمود فيه، ولنصغ إليه وهو يحدد المقام الوسط بين الطبع والتكلف وتجاوز المقدار : "أما ما ذكرتم من الإسهاب والتكلف والخطل والتزيد، فإنما يخرج إلى الإسهاب المتكلف، وإلى الخطل المتزيد.....وإنما وقع النهي عن كل شيء جاوز المقدار، ووقع اسم العي عن كل شيء قصر عن المقدار، فالعي مذموم، والخطل مذموم، ودين الله بين المقصر والغالي....."[27] .

فالجاحظ يلح على أوساط الأمور ، والوسط لديه يعني الاعتدال ، وهو يرى الاعتدال ميزان الأمور ، وله مقدار ، وما يزيد عن قصر عنه ، كما أ الاعتدال يتوسط بين القيم السلبية، و الشطط والغلو في كل شيء ، وما يتسم بالاعتدال إيجابي ، لأنه حال تدرأ الخطأ والشرور

---

[20]() مجموعة رسائل (ساسي)، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط1، 1324هـ 1907م . رسالة في مدح التجار وذم عمل السلطان ، ص: 159.

([21]) السابق ، : 1 /262.

([22]) مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، مؤسسة نوفل، بيروت، 1981م، ط2. ص: 168

([23]) البيان والتبيين ، الجاحظ ، 1/92-93.

([24])الحيوان ، الجاحظ ، 3/ 365.

[25]()البيان والتبيين ، الجاحظ 1/ 137

([26]) السابق ، 1/ 255.

[27]() السابق ، 1/202

ولم يقتصر الموقف الوسطي لدى الجاحظ على موقفه من قضايا النقد ، بل تجاوزها إلى مجالات الحياة المختلفة[28] .

قضية الخصومة بين القدماء والمحدثين :

تجلى في هذه القضية الصراع النقدي بين مؤيدي القديم وأنصار الجديد ، وقد تبدى بأشكال متعددة ، لعل أنصعها ، وأكثرها حدة ما كان من خصومة حول مذهب أبي تمام الشعري ، التي تشكل خلاصة الصراع بين مذهبين في الشعر العربي : قديم وحديث ، فضلاً عن كونها أساس نظرية عمود الشعر ، وما يقابله من نزعة حداثية في الشعر والنقد ، وتختصر الرؤيا النقدية العربية، وخلاصة نظرة النقاد إلى الشعر الجاهلي وأثره في توجيه النقد .

ولا تقتصر الخصومة بين القديم والجديد على الأدب ، بل تتعلق بمناحي الحياة كلها ، وقد تحتدم الخصومة بين القديم وتشتد وفقاً لمستوى الجديد الوافد وحظه من الأصالة ، فإذا كان أصيلاً أخذ مكانه رويداً رويداً في حياة المجموعة البشرية ، ولاسيما حياتها الثقافية بشكل أوضح . وإن لم تتوافر فيه الأصالة كنقضه القديم برمته ، فإن معايير التوازن بين طرفي التراث والمعاصرة أو القديم والحديث يختل ، ويحصل صدام يطال المجتمع كما يطال قضايا الحياة والأدب والفن ، فينقسم الناس فرقاً بين مؤيد ومعارض، مما يعرض المجتمع لهزات لاتحمد عقباها. الأمر الذي يستدعى الحكمة والتعقل لإعادة التوازن بين المتصارعين . وهي مسألة مهمة تتعلق بمدى قدرة المجتمعات على مواكبة حركة التطور مع المحافظة على خصوصيتها .

وقد اكتسبت القضية في عصرنا خطورة كبيرة كونها تتم في إطار العولمة ، ومحو خصائص الشعوب والقوميات ، ولنا أن نفيد من الماضي عندما نشبت المعركة النقدية بين القديم والحديث ، وكيف حلت بمنهج وسطي توفيقي تبناه نقاد ، اسطاعوا معه مدّ جسور التفاهم بين طرفين متباعدين ؛ طرف متعصب تعصباً أعمى للقديم ، ولايرى في المحدث خيراً ، وطرف آخر مقابل لايرى إلا الجديد ، والغريب أن أصحاب الوسط لم يكونوا محدثين بالمطلق ، بل كانوا ينتمون إلى مشارب متباينة ، كالمبرد اللغوي والنحوي ، والجاحظ المتكلم والمثقف الموسوعي ، وابن قتيبة الفقيه الناقد والكاتب ، وابن المعتز الشاعر المحدث .

ونحن مازلنا على ذلك الحال ، كلما جدّ جديد في الحياة ، علا النقاش ، وانقسم المتناقشون إلى حد العداء نتيجة التعصب الأعمى ، ولنا أن نقف بين المتخاصمين وسطا ، فلا القديم جيد بكليته ، ولا الجديد شر كله ، وعلينا أن نأخذ بالجيد منهما بعد توسيع زاوية الرؤية ونفي التعصب الأعمى وهوى النفس نظراً لخطورة هذه المسألة التي تتوقف عليها حياة الأمم والشعوب وأصالتها.

---

[28]( ) وقد توسع الجاحظ توسع في دعوته إلى الوسطية والاعتدال في الأخلاق، فركز على النتائج السلبية والشر، الناجم عن عدم الاعتدال. كالتطرف في محبة الرجل رهطه، ليصل إلى درجة العرقية، " ودعا إلى الاعتدال في المزاح والضحك في قوله: "واقتصد في مزاحك، فإن الإفراط فيه يذهب بالبهاء ،ويجرئ عليك أهل الدناءة " وقوله:"وللضحك موضع وله مقدار، وللمزح موضع وله مقدار، متى جازهما أحد، وقصرعنهما أحد، صار الفاضل خطلا، والتقصير نقصًا". وحذر من الإفراط في حب المنفعة ،والحرص على المال ،وحميا الشره، لمايؤدي إليه من شرور ونتائج سلبية .رسالة النابتة.16/2والمعاش والمعاد، 1/ 90و البخلاء ، ص:7.

وقد أدى التعصب للقديم إلى الانحراف عن جادة النقد ، فاتخذ الزمن معياراً في تحديد الجودة في الشعر ؛ فأبو عمرو بن العلاء يعترف ضمنياً بجودة شعر الأخطل ،ولكنه لايتصور أن الجودة متحققة خارج عصر الجاهلية ، فهو يقول عن الأخطل :" لو أدرك يوما واحدا من الجاهلية ما قدمت عليه جاهلياً ولا إسلامياً "[29] فالتعصب أرخى غشاوة حالت دون رؤية الجيد في خارج إطار العصر الجاهلي . وحين يسمع ابن الأعرابي أرجوزة أبي تمام التي مطلعها:

وعاذلٍ عذلته في عذله فظنَّ أني جاهلٌ من جهلهِ

يطلب من كاتبه أن يكتبها له ، على انها من شعر هذيل ، لأنه " ما سمع أحسن منها " وحين يعرف أنها لأبي تمام يصيح بالكاتب خرّق خرقّ"[30]. فهذه الأحكام التي أطلقها النقاد المتعصبون للقديم ، تنم عن غلو في إعلاء من القديم في كل أحواله ، و تفتقر إلى الموضوعية ، وأدنى المعايير النقدية البناءة ، وتعبر عن تعصب يتعارض مع سنن الحياة التي تخضع للتجديد والتطور باستمرار.

أما أنصار الحداثة ، وهم من الشعراء المجددين (بشار ، أبو نواس ، أبو تمام) وقلة من النقاد أبرزهم الصولي،انطلقوا في حداثتهم من فهمهم لوظيفة الشعر ومهامه ، فالشعر وفق رأيهم ينبغي أن يساير الحياة الجديدة في العصر العباسي ، وهذا ماوجدوه في الشعر المحدث ، فنصروه ، ورفضوا القديم لأنه يعبر عن حياة انقضت ، واختطوا لأنفسهم منهجا جديدا في الإبداع ، حاولوا فيه أن يعبروا عن رؤيتهم الفنية لمتغيرات الحياة ، فكانت أولى خطواتهم إبداع ديباجة جديدة .

الموقف الوسطي التوفيقي بين المتخاصمين :

بين هاتين الفئتين المتصارعتين ، ظهرت فئة ، اتخذت لنفسها موقفا وسطا لا تتعصب للقديم ،ولا تنتصر للجديد ، بل تعتمد الجودة مقياساً للمفاضلة بين الشعراء ، لذلك انصب اهتمامها على العمل الأدبي نفسه وقيمته الفنية ، لا على شخصية صاحبه ، وانتصروا للمجيدين من الشعراء بغض النظر عن عصرهم ، داعين إلى العدل والوسطية والموضوعية في النقد .

ولعل من أوائل النقاد الذين وقفوا من القديم و الحديث موقفا وسطا المبرد الذي تبنى أساساً للحكم في المفاضلة بين الشعراء بقوله " ليس لقدم العهد يفضل القائل ،ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ،ولكن يعطي كلا ما يستحق "[31]، يقوم على الأسس الفنية والجمالية التي تتوافر في النص .

ثم أتى الجاحظ ليعمق مفهوم الوسطية والاعتدال في النقد ، فقدم نظرة توفيقية صريحة عندما قال : " وقد رأيت أناساً يبهرجون أشعار المولدين، ويستسقطون من رواها ، ولم أر ذلك قط إلا في رواية للشعر غير بصير بجوهر ما يروي ، ولو كان له بصر لعرف

---

[29]() كتاب فحولة الشعراء للأصمعي ، تحقيق : المستشرق ش. توري ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ، 1400هـ 1980 م . ص: 13.

([30])أخبار أبي تمام : أبو بكر بن يحيى الصولي ، تحقيق : خليل محمود عساكر ، محمد عبده عزام ، نظير الإسلام الهندي ، قدم له : أحمد أمين، دار الأفاق الجديدة ، بيروت لبنان ، ط3 / 1980. ص: 175- 176

([31]) الكامل في اللغة والأدب : المبرد ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية (د.ت). 79/1.

موضع الجيد ممن كان ، وفي أي زمن كان "[32] لم يتعصب لقديم ولم يحاب حديثاً ، بل نظر إليهما في إطار الجودة والحذق في صناعة الشعر وامتلاك أدواتها ،

ونظرته الوسطية قادته إلى العدالة في الحكم على شاعر أثار جدلاً كبيراً في انتهاجه الحداثة مذهباً ، ومع ذلك أنصفه وامتدح شعره ، فقال : " وإن تأملت شعره فضلته،إلا أن تعترض عليك فيه العصبية ،أو ترى أن أهل البدو أبدا أشعر ،وأن المولدين لا يقاربونهم في شيء ،فإن اعترض هذا الباب عليك فإنك لا تبصر الحق من الباطل ما دمت مغلوبا "[33] ومن هنا كان لموقف الجاحظ الوسطي أهمية في قبول الشعر المحدث والاعتداد به مما جعل من أتي بعده يحتذي موقفه ، ويوسع نظريته الوسطية بموقفه ، فكان ابن قتيبة الناقد الفقيه ، الذي بنى رؤيته النقدية على نظرية سلفه الجاحظ ، فأكمل دوره في التوفيق بين القديم والحديث ، وذهب أبعد منه في تبني الموقف الوسطي ، وكأنه وعى دوره بوصفه فقيهاً ، همه التسوية والتوفيق والتوسط ، ولايخرج النقد عن هذا الفهم ، لذلك جعل الجودة مقياساً للشعر دون اعتبار للقدم والحداثة ، فيقول : " ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر على آخر مختارا له ،سبيل من قلد ،أو استحسن باستحسان غيره ،ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ،وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل إلى الفريقين ،و أعطيت كلا حقه ، ووفرت عليه حقه ووفرت عليه حقه . فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه في متخيره ويرذل الشعر الرصين ولاعيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله ، ولم يقصر الله العلم و الشعر والبلاغة على زمن دون زمن، و لا خص به قوما دون قوم، بل جعل الله ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثا في عصره،... فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا عليه ، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله أو حداثة سنه كما أن الرديء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولاتقدمه"[34]. بهذه النظرة الوسطية شكل ابن قتيبة وغيره من النقاد بيئة مواتية للإبداع ، فلم يرد شعر المحدثين لحداثته ، بل نظر فيه كما نظر في شعر الأقدمين ، وفاضل بينهم على أساس الجودة فقط. وموقف ابن قتيبة هذا لايعني أنه رفض القديم ، بل على جعل القديم والحديث يتعايشا سلمياً ، فلا تقصير ولا تفريط ، ولاعصبية لأحد الطرفين على الآخر ، وإنما أوجد صلة بينهما . وهذا ما أسهم في نهضة الفكر العربي في عصوره الذهبية .

وبعد أن أسس ابن قتيبة أصولالموقف الوسطي بما ضمنه من نظرية الجاحظ ، تغيرت الصورة السابقة التي رسمت للشعر المحدث ، فنرى الصولي وابن المعتز فيما نقله في أخبار أبي تمام تعليقاً على ماأوردناه آنفاً من خبر ابن الأعرابي مع شعر أبي تمام من إنكار له لحداثته ، إذ يرى الصولي أن حكم ابن الأعرابي " من الإفراط في عصبيته عليه "[35]، وعقب عبد الله ابن المعتز على هذا الخير بقوله :" وهذا الفعل من العلماء مفرط القبح ، لأنه

---

[32]() الحيوان : الجاحظ ، 3/ 130

[33]() السابق ، 27/2

[34]() الشعر والشعراء : ابن قتيبة ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة (د. ت) 1/ 62- 63.

[35]() أخبار أبي تمام : أبو بكر بن يحيى الصولي ، ص: 175.

يجب ألا يدفع إحسان محسن ، عدواً كان أو صديقاً ، وأن تؤخذ الفائدة من الرفيع والوضيع "[36] ، وقد سادت هذه الوسطية نقد ابن المعتز ، وأضفت عليه الموضوعية ، واتساع الأفق ، والتفتح الفكري ، وانطلاقاً من وسطيته انفتح على غير شاعر ممن ناصبوا الدولة العباسية العداء , فجعل القيم الجمالية مرجعه في الحكم النقدي. ثم جاء القاضي الجرجاني بمواقفه الوسطية التي أسهم من خلالها بتحقيق التوازن بينالقديم والمحدث ، فأراد أن يخلخل النظرة المثالية التي أحاطت بالشعر القديم، دون المسارعةإلى رفضه لقدمه انتصاراً للحديث جملة وللمتنبي خاصة [37] . وقد كان القاضي الجرجاني على دراية كاملة بالعوامل التي تقف وراء تعظيم القديم ، لذلك " ذهب أبعد من هذا في توضيح أن تعظيم أنصار القديم للقديم لا يقوم على أساس منطقي سليم "[38] ،ولكي يكون منصفاً في أحكامه فقد حدد عناصر الفن الشعري التي من خلالها يمكن الحكم على جودة الأشعار ، فقال : " الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ثم تكون درْبَة مادة له، وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرّز؛ وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان، ولست أفضّل في هذه القضية بين القديم والمحدث، والجاهلي والمُخضرِم، والأعرابي والمولّد " [39]، ولكيل ايُسَاء فهم موقف القاضي من طرفي هذه الخصومة،يبادر إلى القول : " ومتى سمعتَني أختارُ للمحدَث هذا الاختيار، وأبعثُهُ على الطبع، وأُحسّن له التسهيل؛ فلا تظنن أني أريدُ بالسّمْح السّهل الضعيفَ الركيك، ولا باللطيف الرشيق الخنِثَ المؤنث؛ بل أريد النّمَط الأوسط؛ ما ارتفع عن الساقط السّوقيّ، وانحط عن البدويّ الوحشي "[40]. بهذا القول يبعد القاضي عن نفسه كل شبهة بالميل لطرف دون أخر سواء كان متقدماً أم متأخراً ، ويقدم مفهوماً للنقد يقوم على العدل ، وهنا تكمن قيمته ؛ ففي تحقيقه العدالة يؤدي وظيفة هي من صميم الدين الإسلامي إن لم تكن من وظائفه الأساسية .

لذلك يمكننا القول إن القاضي الجرجاني قام بدور خطير في تاريخنا النقدي من خلال إدراكه القيمة الحقيقية للنقد ، التي تجلت في مواقفه الوسطية التي عبر عنها في كتاب الوساطة، وتغيت الإنصاف من خلال التوسط بين خصوم المتنبي وأنصاره المغالين في مواقفهم إلى درجة التعصب والتطرف ، الذي يصور للعين الشيء على غير ما هو في الحقيقة ، وهنا تكمن الخطورة ؛ فالأحكام التي تصدر في هذه الحال تبتعد عن روح النقد الأدبي الصحيح ، ويغدو لغواً فارغاً . والقاضي لم يبن موقفه في هذه الخصومة على فراغ ، بل بناه على شاعرية المتنبي ، التي لاتقل شاعرية عن غيره من الفحول المحدثين، ولكن فحولته الشعرية ضاعت بين تطرف فريقين ؛ إفراط المعجبين بفنه، وتفريط الكارهين له، ومن ثم فهو بحاجة إلى الإنصاف ،وهذا يقتضي التسليم بما له من حسنات وما عليه من سيئات، كما يفعل مع غيره من فحول الشعراء المحدثين [41].

---

[36]( ) السابق ، ص: 176.

[37]() تراثنا النقدي دراسة في كتاب الوساطة، سيد فضل، منشأة المعارف، الإسكندرية (د.ط) (د.ت) ص :16.

[38]() القاضي الجرجاني الأديب الناقد، محمد السمرة، المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت، ط 1979،2. ص: 126.

([39])الوساطة : القاضي الجرجاني ، ص : 15.

[40]() السابق ، 23 – 24 .

[41]() الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم : عثمان موافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط3، 1995. ص: 117.

التعصب والتطرففي مواقف النقاد في المعركة النقدية حول المتنبي:

أثر التعصب في تشويه الحكم النقدي:

ترتكز العصبية في النقد على أسس نفسية ، تتولد من قصور الذات عن بلوغ مابلغه الآخر المبدع ، أو مجاراته في إبداعه، فتنطوي النفس ، وتضمر شراً ، فتستسلم لهوى النفس ، وتلغي حكم العقل ، وتتبدى خطورتها في أن الناقد يسير وراء أهوائه ، ويؤصل حياته عليها ، ويضع الأسس التي ترتكز عليها ، وتسير وفقها ، فتتحول الهواجس الذاتية إلى قواعد ، يضفي عليها صاحبها طابع الموضوعية والتعميم ، وتغدو المقياس الوحيد للحكم على العالم ، ومن أجل إثبات صحتها ، نجد صاحب العصبية يجهد نفسه في الكشف عن الحجج التي يقيم أحكامه عليها ، فهو إذا ما حكم على شاعر بأنه ساقط ، أعمته العصبية عن الحسنات ، وإن قام الدليل القاطع على كثرتها ، إنما نراه يبحث عن عيوب الشاعر ، وإظهارها ، وتهويل أمرها حتى وإن كانت قليلة نادرة ، والعصبية علاوة على ذلك تنزع من صاحبها التثبت والإنصاف ، لأن التثبت يجعلنا نراجع أحكامنا قبل إصدارها ، وأما الإنصاف فهو أصل العدل ، وهو الأصل في كل عملية نقدية [42] . ففي التعصب غيبة العقل ، وانتفاء الهدوء والركون إلى الحق ، والانجرار إلى الدعوات المضللة . ولذلك كان القول العدل والموقف الوسطي هما ماينبغي أن يتحلى بهما الناقد ، فالعدالة "حكم أمين ينبغي " وعلىالناقد أن يضع "في يده موازين عادلة رشيدة لاتميل مع أي هوى ولا أي تعصب "[43].

لدى ظهور المتنبي كانت قد تغيرت قواعد المعركة بين القديم والجديد ، فقد بدأ الذوق العربي يقبل الجديد ويتذوقه، ففتح البلاغيون باباً للحديث المخترع في أبواب علم البديع ، وعلت الأصوات مطالبة بالتجديد ، فبحثوا في السرقات عن المعنى الجديد الذي يزيد المعنى حلاوة، ويقر بمشروعية الأخذ ، وعلى هذا فالجديد فرض نفسه إلى حد دفع معه ابن جني للقول : " إن المولدين يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدماء بالألفاظ " [44] .

ولكن المعركة التي أثيرت حول المتنبيدارت وفق قواعد جديدة ، ترتكز على ماشكله من ظاهرة فريدة ،حيرت الذوق والنقد معا ، فقد صدم الذوق مرتين : مرة بشخصه المتعالي ، ومرة بجرأته في الشعر التي ركبت المبالغة حتى مست بالعقيدة الدينية ، وتستخف في مخاطبة الممدوحين ورثاء النساء ، وتتصرف باللغة تصرف المالك المستبد [45]. وأضيف سبباً آخر أوغر صدور الحاقدين عليه ؛ وهو استئثاره باهتمام سيف الدولة ، فحضوره أخمل شعراء البلاط ، فراحوا يتفننون بالتطاول عليه ، ويغضون من شعره بسبب شخصه، الذي كان وقوداً في المعركة التي دارت حوله ، لذلك واشتطت في الطعن عليه إلى درجة الغلو ، فابتعدت عن أصول النقد الأدبي الذي ينبغي أن ينصب على النص ، ولكنها تجاوزته إلى القدح والذم في شخصية الأديب ذاتها ، مما ولد الحقد والكره،والتعامي عن الحقيقة .

---

[42]() مفهوم النقد الأدبي في كتاب الوساطة للقاضي الجرجاني، دراسة ل: بالقاسم مالكية، مجلة الأثر، الجزائر،العدد (1) ، 2002.

[43]() في النقد الأدبي : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط9 د. ت). ص: 57.

[44]() العمدة في صناعة الشعر ونقدة ، ابن رشيق القيرواني ، 985/2.

[45]( ) تاريخ النقد الأدبي عند العربي من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط3، 1981. ص: 252.

لقد أثار شعر المتنبي وشخصيته جدلاواسعاً ، و: " ألفت الكتب في تفسيره، وحل مشكله وعويصه، وكثرت الدفاتر على ذكر جيده و رديئه، وتكلم الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه، والإفصاح عن أبكار كلامه وعونه، وتفرقوا في مدحه والقدح فيه والنضح عنه، والتعصب له و عليه وذلك أول دليل على على وفور فضله ، وتقدم قدمه ، بملك رقاب القوافي ، ورق المعاني ، فالكامل من عدت سقطاته ، والسعيد من حسبت هفواته وما زالت الأملاك تهجى وتمدح "[46].وليس أدل على ذلك من نقد الحاتمي للمتنبي في الرسالة الموضحة التي كانت تسمى أيضاً (جبهة الأدب) التي ألفها لإرضاء الوزير المهلبي ، الذي كان ينتظر – وقد نزل المتنبي مدينة السلام – أن يمدحه ، ولكنه لم يفعل ، فأغري به شعراء العراق ، حتى نالوا من عرضه ، وتباروا في هجائه[47] وأوكل للحاتمي تأليف رسالة في الطعن في أصالة شعره وساقطه ، وفي الحقيقة أضمرتالرسالة هدفاً آخر صرح به الحاتمي بقوله :" سامني هتك حريمه وتمزيق أديمه ووكلني بتتبع عواره ، وتصفح أشعاره وإحواجه إلى مفارقة العراق " [48]، وهذا ما وسم الرسالة بالانفعال والتحامل .

ولاتخرج رسالة النامي عن هذا التحامل والكره والتطرف في الموقف ، فالمتنبي نافسه المكان لدى سيف الدولة ، مما ولد حنقاً وغيظاً في صدره دفعاه إلى تتبع عواره ، وتسقّط عيوبه ، وإبرازها بطريقة تهكمية ، تضمر الحقد ، فاستعمل السباب الجارح ، وكد قريحته ليفتن في التعليق الساخر [49].هذا النقد الذي وسم قراءة الخصوم، انصب على شخص المتنبي ، وليس على شعره ، والنقد ليس ذماً ، وتعداداً للعيوب .

وقد بلغ الحقد مبلغه من ناقد آخر هو الصاحب بن عباد ، الذي بنى موقفه النقدي على موقف شخصي مع المتنبي الذي رفض ان يمدحه ، وكان الصاحب قد طمع في زيارة المتنبي إياه بأصفهان ، وإجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان ...، فكتب يلاطفه في استدعائه ، ويضمن له مشاطرته جميع ماله ، فلم يقم له المتنبي وزناً ، ولم يجبه على كتابه ، وقيل إن المتنبي قال لأصحابه : إن غُليّماً معطاء بالري يريد أن أزوره وأمدحه ، ولاسبيل إلى ذلك . فصيره الصاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقيعة ، يتتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته ، وهو أعرف الناس بحسناته وأحفظهم وأكثرهم استعمالاً لها وتمثلاً بها في محاضراته ومكاتبته "[50] وبدافع الحقد البين في قوله " إنه ليغيظني أمر هذا المتنبي ، واجتهادي في أن أخمد ذكره "[51] ، ألف رسالته في الكشف عن مساوئ المتنبي ، كان يتعمد فيها تغيير بعض الألفاظ ليتوصل إلى عيبها والتنقص من المتنبي بسببها. ولعل التطرف في هذه المواقف ، قد آل بالنقد للانحراف عن مساره ، وتحوله إلى سباب وشتائم بغض النظر عن أحقية الناقد في

---

[46]() - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق: مفيد محمد قميحة , دار الكتب العلمية , لبنان بيروت , ط1 1983. 1/ 140.

[47]() – الصبح المنبي عن حيثية المتنبي : يوسف البديعي ، تحقيق : مصطفى السقا و محمد شتا و عبده زيادة عبده ، دار المعارف ، القاهرة ، ط3 (د. ت) ص: 143.

[48]( ) الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي و ساقط شعره : الحاتمي ، تحقيق محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، 1965. ص: 3.

[49]( ) تاريخ النقد الأدبي عند العربي من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري : إحسان عباس ، ص: 275.

[50]() الصبح المنبي عن حيثية المتنبي : يوسف البديعي ، ص: 145- 146.

[51]() السابق ، ص: 146.

نقده لبعض أشعار المتنبي ، ولكنه عرضها معرضاً مسيئاً ، علاوة على أن رسالة الصاحب أخلت بالأمانة العلمية عندما غير بعض الألفاظ والتعابير ، ليجد فيها مطعناً .
وحاول بعض خصوم المتنبي الآخرون إظهار محصولهم الثقافي في حصاد سرقات المتنبي كما فعل ابن وكيع التنيسي في كتابه المنصف ، فتعسف في نسبة السرقة إلى المتنبي بغية الإساءة إلى أصالة شعره ، فأضاع جهداً كبيراً في ما لاطائل منه ، ولعل انهماكه في تبين السرقة قد حجب عن عينه أموراً مهمة ألصق بالنقد الأدبي كالانتباه إلى المعاني التي تثيرها الأبيات التي يتسقط عيوبها وسرقاتها ،فهو عندما يعرض لأبيات المتنبي في وصف جرذ قتله رجلان في عيني الباحث عن السرقات ، يبحث عن معنى مسروق وعندما لايجده يقول : " فلو كان طرحها من ديوانه لاستغنى عنها ، ولانلتمس لمثلها استخراج سرقة لأنها لفراغها " [52]. فالتعصب والنظر بعين واحدة ومقياس واحد إلى الشعر قد حال دون رؤية السخرية في شعر المتنبي ، كما يوحي إلى استغلال قضية السرقات للطعن في الشاعر ، ومن هنا يصح القول إن انتحاء منحى الكشف عن السرقات كان " ضلالاً بعيداً في تاريخ النقد الأدبي واستهلاكاً لجهود كان من الممكن أن تثمر فيما هو أحدى وأجدر "[53].
أما أنصار المتنبي ، فقد تطرفوا في تعظيمه ، ولكن لم تسعفهم أدواتهم النقدية في تأليف كتب في تقريظه ، بل اكتفوا بعبارات الإعجاب المشدوه . ولكل منهما حظ من الصواب ، وإن كان حظ المتعصبين أقل ممن يتحرى العدل والإنصاف. وذلك لأن الخصوم لم يضعوا كتاباً خالصاً لوجه النقد ، بل واجهوا الإبداع بالنقد ، ولم يضعوا معايير للقيمة الفنية في الشعر ، تبصر الشاعر بمواطن ضعفه ، أو مواطن إجادته ، لتكون موجهاً للإبداع ، بل سخروا قدراتهم النقدية لأغراض غير أدبية عبر تحاملهم .
ولعل تطرف الفريقين المتخاصمين في الكره والحب ، أبعدهما عن تلمس مواطن الجمال في شعر المتنبي ، والتعصب عليه وله أعماهم عن الأخذ بالحق لذلك ضلوا في أحكامهم ؛ فالخصم بالغ في تلمس عيوب شخصه ، فلم ير في شعره إلا صدى أشعار السابقين ، والأنصار لم يروا نداً له في الإبداع ، وكان إصرارهما على مواقفهما يزيد الشقة بينهما ابتعاداً ، وأرى أن ما زاد جذوة التعصب اتقادا هو مغالاة كل طرف وإصراره على موقفه ، فالموقف المغاليلايخلق إلا موقفاً مغالياً مضاداً له . فكان لابد من مقاربة شعره بهدوء بطريق غير مباشرة من خلال مقاربة شعر المحدثين – لأن خصوم المتنبي لم يكونوا خصوماً للشعر المحدث ، بل كانوا خصوماً له فقط - تمهيدا لقبوله كي يُحد من الغلواء ، فكانت مواجهة الدافع الشخصي في النقد بالدافع الأدبي النزيه مقدمة لإعادة النقد إلى مساره الصحيح . وهذا لم يكن هيناً ، إذ التمس القاضي طريق الحوار والمناقشة ، فخفف بذلك من حدة المواقف ، وخلق موقفاً وسطاً عن طريق الإقناع من خلال النفاذ إلى البنية العميقة في ذهن الخصوم والأنصار ، والاتفاق على قواعد نقدية ثابتة تطبق على المتنبي كما تتطبق على غيره من الشعراء المحدثين .

[52]() المنصف للسارق والمسروق منه : ابن وكيع التنيسي ، حققه وقدم له : عمر بن خليفة بن ادريس ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي، ط1 ، 1964. 1/ 201.
[53]()تاريخ النقد الأدبي عند العربي من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري : إحسان عباس ، ص: 302.

هذان الفريقان بموقفهما المتطرف ،قد مهدا الطريق لظهور الناقد الوسطيليوفق بين المتخاصمين ، وليقف بين بين في معركة حامية الوطيس، مع أن الجو المشحون بالعصبية والكره ، لم يكن يوحي باقتراب الحل والتوفيق والمصالحة، ولكن وجود ابن جني ، والحوار الشفوي بين أقطاب الصراع خلقا تربة صالحة لظهور الناقد الوسطي المعتدل ؛الداعي لنبذ التعصب ، والعدل في ما يصدره الناقد من أحكام. فكان القاضي الجرجاني هو هذا الناقد ، الذي غدا منطلقاً للكثير من الدارسين ليعتبروا في تعليقهم عن منهج القاضي في الدفاع عن المتنبي أنه منهج واضح المعالم، بين الملامح، إذ بدأ بالدعوة إلى العدل في الحكم وعدم تناول الموضوعبروح التحيز والهوى له أو عليه[54].

كان القاضي الجرجاني يعي جيداً أثر التعصب في النقد بعامة ؛ وما ألفاه من عصبية لدى خصوم المتنبي بخاصة ، فالعصبية " تكدر صفو الطبع ، وفلت حدّ الذهن ، ولبّست العلم بالشك ، وحسنت للمنصف الميل ؛ ومتى استحكمت ورسخت صورت لك الشيء بغير صورته ، وحالت بينك وبين تأمله ، وتخطت بك الإحسان الظاهر ، إلى العيب الغامض . وما ملكت العصبية قلباً فتركت فيه للتثبت موضعا أو أبقت منه للإنصاف نصيبًا"[55].

الموقف الوسطي في نقد القاضي الجرجاني في إطار المعركة النقدية حول المتنبي :

دخل القاضي الجرجاني النقد من باب القضاء ، وجعل مدار حديثه النقدي حول فكرة العدل ، التي تفرعت في كتابه تفرع عروق المرجان ، فتبدت بأكثر من شكل ، الأمر الذي حدد مفهوم النقد لديه بالعدل ، فليس : " من حكم مراعاة الأدب أن تعدل لأجله عن الإنصاف أو تخرج في بابه إلى الإسراف ، بل تتصرف على حكم العدل كيف صرفك ... وتجعل الإقرار بالحق عليك شاهداً "[56].وتطبق العدل في الحكم ليس شعاراً بل مبدء اً عمل به القاضي من بداية كتابه إلى منتهاه، وطبقه حتى على نفسه فيقول : " وتحكم علي حكم المنصف المتثبت وتقضي قضاء المقسط المتوقف " [57] ، لذلك نجده يلح على العدل والإنصاف في كل حكم "... ثم انظر وحكم وأنصف "[58] ، ويدعوا كل ناقد إلى خلع رداء العصبية، فقد " يتفق لأحد هؤلاء غلبة الإنصاف على قلبه في الوقت بعد الوقت، فيخلع رداء العصبية، ويصغي ويميز فيراجع " [59] وهذه ناحية مهمة إذ إن كثير من النقاد يأنفون من الرجوع عن موقف أو حكم غير منصف أصدروه ظلماً وتعصباً ، وإن كان البعض منهم يمتلك صفات الناقد المنصف فلا يتوانى في الرجوع عن موقفه إذا رأى ما ينقضه . ولعل روح العدل والإنصاف تلوح من هذه الكلمات ، ونجد بها ظلالاً من رسالة عمر بن الخطاب في العدل التي وجهها إلى أبي موسى الأشعري " ولا يمنعك قضاء قضيتَه بالأمس ثم راجعتَ فيه نفسك، وهديتَ فيه لرشدك أن ترجع عنه، فإن الحق قديم، والرجوع إليه خير من التمادي على الباطل "[60].

([54])ينظر: تاريخ النقد الأدبي والبلاغة : محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية (د. ت) . ص: 396.

[55]() الوساطة بين المتنبي وخصومه : القاضي الجرجاني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، طبعة عيسى بابي الحلبي ، القاهرة (د. ت) . ص: 414.

[56]() السابق ، ص: 2- 3.

[57]( ) السابق ، ص : 15.

[58]( ) السابق ، ص : 25.

[59]( ) الوساطة بين المتنبي وخصومه : القاضي الجرجاني ، ص : 51.

[60]() العقد الفريد، ابن عبد ربه، شرحه ضبطه وصححه أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي، بيروت، 1986. 1 / 86- 88 .

ثم نراه يلخص هذه السمات ويسقطها على ذاته ليقدم نفسه ناقداً وسطاً لم يدفعه الهوى للانحياز إلى أي من الطرفين
المتخاصمين ، وقد خشي أن يحرفه حب المتنبي عن جادة الصواب ، فخاطب خصوم المتنبي قائلاً : " واعلم أني رسول مبلغ ، وسامع مؤد ، وإني كما أناظرك أناظر عنك ، وكما أخاصمك أخاصم لك ، فإن رأيتني جاوزت لك موضع الحجة فردني إليها ، فما أبرئ نفسي من الغفلة ، وأدعي السلامة من الخطأ "[61]. هذه هي صورة الناقد التي ارتضاها القاضي ، فجعل نفسه وسطاً بين الخصوم يناظرهم ولاينحاز إلا للحق ، فيتوسط بين الخصوم والأنصار ، وينقل لكل طرف اتهامات الطرف الآخر وحججه ، فهو يريد أن يسمع كل طرف الطرف الآخر ليقرب الأطراف المتباعدة . ثم يقول : " لكن ما سمعتني أشترط في صدر هذه الرسالة أنه يحظر إلا اتباع الحق وتحري العدل والحكم به لي أو علي "[62]. فشرط الجرجاني على نفسه هو اتباع الحق ، وإحقاق العدل مهما كانت نتيجة ذلك ؛ سواء أكانت له أم عليه ، لأن الحق هو الغاية .
من هنا نرى أن كتاب القاضي الجرجاني – الوساطة بين المتنبي وخصومه - كتاباً فريداً في تاريخ النقد ، انتحى فيه منحى وسطياً، وجسد فيه الوسطية الإسلامية الباحثة عن الحق والخير والجمال في الموجودات والأقوال والأفعال والفضائل ، وتحقيق كمال الجمال يكون بالاعتدال ، والاعتدال مبدأ إسلامي حق.فقد نقل الرواة حديث سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم :" لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ "[63]. ففيه توجيه وضح لنبذ الغلو والاعتصام بالاعتدال . وقد انطلق القاضي الجرجاني في موقفه النقدي من فهم هذا المعنى للوسطية الإسلامية البعيدة عن الغلو ، فألف كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه ، الذي أجمع كثير من الدارسين على أنه " من أكثر الكتب اعتدالاً وأكثرها بعداً عن التعصب للشاعر أو عليه، والعنوان يمثل بحق الدراسة قلباً وقالباً، إذ أن المؤلف لم يبخسه حقه، ولم يحاول إنزاله من مكانته اللائقة به بين فحول الشعراءالعربية عامة و المعاصرين له خاصة، كما أنه لم يدع له العصمة، فأثبت ما وقع فيه من عيوب وهنات، التي شأنه فيها شأن كل الشعراء المحدثين"[64].
فأهمية الكتاب بنيت على ما اتسم به من العدالة ووسطية . فكيف تبدت وسطية القاضي ؟ وهل كان الموقف النقدي العام بحاجة لناقد قاض أو قاض ناقد؟ لايخفى على أحد أن القاضي يقضي بشرع الله لإقامة العدل ، والنقد يوجد العدل، والعدل هو أساس الوجود ، والله جعل العدل سنة تقوم عليها شؤون الإنسان كلها .
لقد كان القاضي الجرجاني على علم بسبب الخصومات بين الشعراء والنقاد ، وعالماً بما يوغر الصدور ، ويشعل الأحقاد ، ويكون سبباً في التعصب والعداوة التي تنعكس على العلاقات الإنسانية ، أليس هو قاض ؟ تعرض عليه الخصومات ، ويفصل بين المتخاصمين؟ لذلك كان استهلاله القول بتوضيح ما يمكن أن يثير الخصومات في قوله : " التفاضل – أطال الله بقاءك – داعية التنافس ، والتنافس سبب التحاسد ، وأهل النقص رجلان : رجل أتاه التقصير من قبله ، وقعد به عن الكمال اختياره ، فهو يساهم الفضلاء بطبعه ، ويحنو على

[61]( ) الوساطة بين المتنبي وخصومه : القاضي الجرجاني ، ، ص: 178.
[62]() السابق ، ص: 20.
[63]() رواه أبو داود (4904) ، وأبو يعلى 6/ 365 (3694).
[64]() معايير النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري. أحسن مزدور، مكتبة الأدب، القاهرة ، ط2 ، 2008 . ص: 176.

الفضل بقدر سهمه ؛ وآخر رأى النقص ... مؤثلاً في تركيب فطرته ، فاستشعر اليأس من زواله ، وقصرت به الهمة من انتقاله ، فلجأ إلى حسد الفاضل ، واستغاث بانتقاص الأماثل ؛ يرى أن أبلغ الأمور في جبر نقيصته، وستر ما كشفه العجز عن عورته اجتذابهم إلى مشاركته، ووسمهم بمثل سمته "[65]. مما يلفت الانتباه في قول القاضي ، حديثه عن الحسد ، فالحسد مولد الخصومات ، وقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "إِنَّ الْحَسَدَ يُطْفِئُ نُورَ الْحَسَنَاتِ "[66] .

فالقاضي يمهد في قوله لأسباب الخصومة ، ومدعاة التنافس ، ويحيلها إلى الشعور بالنقص ، الذي يثير في الإنسان القلق ، ولاسيما حين يقارن الإنسان نفسه بمن هو أحسن حالاً منه ، وأفضل موقعاً ، وقد قدم أحد علماء النفس مثالاً واضحاً للاضطراب

الذي يحدثه الشعور بالنقص لدى الإنسان [67] ، فالدوافع النفسية لدى الناقد ، تحرك أهواءه وتغيب عقله ، وإذا ما باشر عملاً بالتحليل والنقد ، انحرف به هواه عن الإنصاف والموضوعية ، فأتى بأحكام واهية تستند إلى تلك الدوافع . ولذلك نبه القاضي النقاد من خطورة الحسد وأثره السلبي على تقويم العمل الأدبي ، وذلك لأن الحسد يولد حب الانتقام ، والانتقام بالنقد يجعل جميل الشعر معيباً و ناقصاً .

فالحسد وانتقاص الأفاضل هما عدة نقد خصوم المتنبي في الأغلب الأعم للحط من قيمة شعره ، وهي حسب القاضي صفة تكدر صفوة النقد وموضوعيته، فسببها عجز الحاسد عن مطاولة المحسود . فيحاول صرف النظر عن عجزه بتركيز التهم على غيره .

ولذلك نبذ القاضي كل أسباب التعصب ، وبدأ ببسط موقفه النقدي المعتدل ، فلم يحاب صديقه الذي كان ضمن خصوم المتنبي ،فهو على علاقته الوطيدة بالصاحب بن عباد إلا أنه ، انتحى وسطاً بعيداً عن هوى النفس فاختار في وساطته قول الحق والعد والصراحة من أجل إنصاف المتنبي ، وعلى هذا تكون الوساطة شاهداً على الخلق الإسلامي الوسطي الذي يضع كل الأمور في ميزان العدل قبل إبداء الرأي فيها ، ويدل على نفس أبية، وإرادة حرة، دفعته إلى أن يقول ما يعتقد، وإن خالف ذلك رأي إنسان عزيز عليه [68].

فالصداقة لم تجنح به عن الحق ، فبين أنه قادر على إنصاف الطرف المظلوم و إقناع الخصوم بوجهة نظره .

ثم ينقل إلينا القاضي الجرجاني تجربته مع الفريقين المذكورين وحدة الصراع بينهما إلى درجة كاد معها يفقد الأمل في التوفيق بينهما ،ويقول واصفاً الحال التي كانت عليها الساحة النقدية في عصره : " وما زلتُ أرى أهل الأدب - منذ ألحقتني الرغبةُ بجملتهم، ووصلَت العنايةُ بيني وبينهم - في أبي الطيب أحمد بنِ الحسين المتنبي فئتين: من مُطنب في تقريظه، منقطع إليه بجملته، منحطّ في هواه بلسانه وقلبه، يلتقي مناقِبَه إذا ذُكِرت بالتعظيم، ويُشيع محاسنه إذا حُكيت بالتفخيم، ويُعجَب ويعيد ويكرر، ويميل على من عابه بالزِّراية والتقصير، ويتناول من ينقصُه بالاستحقار والتجهيل؛ فإن عثَر على بيت مختلّ النظام، أو نِبَه على لفظ

---

[65]() الوساطة بين المتنبي وخصومه : القاضي الجرجاني ، ص: 1 (المقدمة).

([66]) رواه أبو داود (4904) ، وأبو يعلى 6/ 365 (3694).

([67]) مرض القلق : دفيد – ف – شيهان ، ترجمة : عزت شعلان ، مراجعة : عبد العزيز سلامة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، عالم المعرفة ، 1986 . ص: 101.

[68]() القاضي الجرجاني الأديب الناقد، محمد السمرة، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1979. ص: 112 -113 .

ناقص عن التمام التزم من نُصرة خطئه، وتحسين زلَله ما يُزيله عن موقف المعتذر، ويتجاوز به مقام المنتصر. وعائبٍ يروم إزالتَه عن رُتبته، فلم يسلّم له فضله، ويحاول حطّه عن منزلةٍ بوّأه إياها أدبُه؛ فهو يجتهدُ في إخفاء فضائله، وإظهار مَعايبه، وتتبع سقطاتِه، وإذاعة غَفلاته "[69].

فالفريقان يحملان شكوكاً في موقفهما ، فالأنصار يرفعونه عن مستوى البشر الذين يجوز عليهم الخطأ ، والخصوم لايرون له فضلاً، فالحال كما يبدو ، كان يفرض وجود فريق ثالث وسطي يعيد الهدوء والموضوعية للنقد ، فكان القاضي الجرجاني ، فهو قادر على التوسط بوصفه قاضياً يتمتع بالعدل والنزاهة والإنسانية ، وناقداً ضليعاً تمثل التراث النقدي قبله ، فكانت مهمته التي ارتضاها ، وهي التوسط بين فريقين دون أن ينفي أحدهما على حساب الآخر .

وقبل التوسط بينهما ، يعرض علينا حال الفريقين وفق رؤيته النقدية " وكلا الفريقين إما ظالمٌ له أو للأدب فيه؛ وكما أن الانتصار جانبٌ من العدْل لا يسدّه الاعتذار؛ فكذلك الاعتذار جانب هو أولى به من الانتصار، ومَن لم يفرّق بينهما وقفت به المَلامةُ بين تفريط المقصّر، وإسراف المفرِط؛ وقد جعل الله لكل شيء قدْراً، وأقام بين كل حديث فصْلاً؛ وليس يطالَب البَشر بما ليس في طبع البشر، ولا يُلتَمس عند الآدميّ إلا ما كان من طبيعة ولدِ آدم؛ وإذا كانت الخلقة مبنيةً على السهو وممزوجة بالنسيان؛ فاستسقاط من عزّ حالُه حيْف، والتحامُل على من وُجِّه إليه ظلم.وللفضل آثارٌ ظاهرة، وللتقدم شواهدُ صادقة، فمتى وجِدتْ تلك الآثار، وشوهدت هذه الشواهد فصاحبُها فاضل متقدم؛ فإن عُثِر له من بعدُ على زلّة، ووحدت له بعَقِب الإحسان هفْوة انتُحِل له عذرٌ صادق، أو رُخصة سائِغة؛ فإن أعوز قيل: زلّة عالم، وقلّ من خَلا منها، وأيُّ الرجال المهذب! ولولا هذه الحكومة لبطل التفضيل، ولزال الجَرْح ولم يكن لقولنا فاضل معنى يوجد أبداً، ولم نسِمْ به إذا أردنا حقيقة أحداً، وأي عالم سمعت به ولم يزلّ ويغلط! أو شاعر انتهى إليك ذكره لم يهْفُ ولم يسقط!"[70].

لقد أعاد القاضي بهدوئه النظر في الموقف النقدي للطاعنين في شعر المتنبي ، ونظر إلى المحاسن والمساوئ كنتائج لأفعال الإنسان ، لايعرى منها أحد و" أي الرجال المهذب " ، ومن لم يغلط ؟ لذلك سلم بالأخطاء التي يوردها الخصوم " في سبيل أن يعود هذا الفريق – في حالة مراجعة الضمير – إلى تقبل ما يسميه فريق الأصدقاء فضائل ، لإقرار الحق ، تكافؤاً كانت النتيجة أو رجحانا للحسنات أو رجحاناً للسيئات لافرق ، ما دمنا قد وصلنا إلى أن نتعترف بكفتي الميزان قائمتين على نحو من التقارب دون انتفاء إحداهما "[71].

لقد تبدت روح القضاء والفقه (العدل والتثبت) في الوساطة ، فكانت مثالاً للنزاهة وعدم التحيز والعدل ، وتلك صفات تعظم بها قيمة النقد الصحيح . فوجدناه يكرر في أكثر من موضع في كتابه فكرة الإنصاف والتثبت في ما يصدره الناقدمن أحكام ، ففي مسألة الاتهام بالسرق يحذر من العصبية التي قد تحمل " العالم على دفع العيان وجحد المشاهدة، فلا يزيد على التعرض للفضيحة، والاشتهار بالجور والتحامل "[72].كل هذا ينبي على نجاح القاضي

([69]) الوساطة بين المتنبي وخصومه : القاضي الجرجاني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، طبعة عيسى بابي الحلبي ، القاهرة (د. ت) . ص: 3.

[70]( ) الوساطة بين المتنبي وخصومه : القاضي الجرجاني ، ص: 3- 4.

[71]() تاريخ النقد الأدبي عند العربي من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري : إحسان عباس ، ص: 315- 316.

[72]() الوساطة بين المتنبي وخصومه : القاضي الجرجاني ، ص : 208.

الجرجاني بمنهجه الوسطي في تقريب فكرة تطور الأدب إلى الأذهان ، وقبول الأذواق للجديد .
فالوسطية لدى القاضى الجرجانى تعنى التوسط والتعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، حيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير وينفي الطرف المقابل ، ولا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه ويطغى على مقابله ويحيف عليه . وهذا هو المفهوم الوسطية في الإسلام الجامع لمعاني العدل والخير والاستقامة، فهي اعتدال بين طرفين، وحق بين باطلين، وعدل بين ظلمين.
يعنينا اليوم من قضية الخصومة التركيز على أثر الحدة في المواقف في حجب الرؤية الصحيحة للفن والحياة والمجتمع ، فالاختلاف بين القديم والمحدث يتناول الحياة الإنسانية في فروعها المختلفة ، ونحن بحكم وجودنا في الحياة مضطرون إلى أن نصل بين الأمس واليوم والغد ، ومضطرون إلى أن نصل بين القديم والجديد [73].كي لانبقى أسرى القديم وحده، بل نوجد صلات بين الأصالة والمعاصرة ، فالاعتدال لايعني قطع الصلة بين الماضي والحاضر ، كما لاتعني النكوص عن التجديد .
إن قضية الخصومة تجربة تستحق أن نعيد قراءتها لنستعين بها في مواجهة تحديات المستقبل ، فكل جديد أصيل سيفرض نفسه مهما بلغت مقاومته من حدة ، لذلك لابد من ضبط عملية التغيير من دون تعصب إلى أي اتجاه أو رأي ، بل ندرس الآراء ونمزج بينها ، لنخرج برؤية وسطية صالحة للحياة في مرحلة معينة ، لأن حركة الحياة لاتني ولاتفتر .
ولم تقتصر مواقف القاضي الجرجاني الوسطية على قضية بعينها بل كان موقفه وسطياً في كل مناحي نقده ومنها مسألة البديع في شعر أبي تمام ، فقد كان يتحرى الدقة والموضوعية في قبول شعره أو رفضه ، يقول : " فتعسّف ما أمكن، وتغلغل في التصعّب كيف قدر، ثم لم يرضَ بذلك حتى أضاف إليه طلَب البديع، فتحمّله من كل وجْه، وتوصّل إليه بكل سبب، ولم يرض بهاتين الخَلتين حتى اجتلب المعاني الغامضة، وقصد الأغراض الخفيّة، فاحتمل فيها كل غثٍّ ثقيل ... ولست أقول هذا غضّاً من أبي تمام، ولا تهْجيناً لشعره، ولا عصبيّة عليه لغيره. فكيف وأنا أدينُ بتفضيله وتقديمه، وأنتحلُ موالاتَه وتعظيمه، وأراه قِبْلة أصحاب المعاني، وقُدْوة أهلِ البديع! لكن ما سمعتني أشترطُه في صدْر هذه الرسالة أنه يُحْظر إلا إتباع الحق وتحرّي العدل والحكم به لي أو عليّ "[74]. فتحري العدل واتباع الحق دفعاه إلى أن يفرد عيوب شعر أبي تمام بالقول عن ولعه بالبديع والغموض ، فاستطاع أن يقيس الأدب بمقاييس الذوق . وهو عندما ينظر في استعارات أبي تمام التي أفرط فيها ، وخرج عما ألفته العرب كما في قوله :

يَا دَهْرُ قَومْ أُخْدَعَيْكَ فَقَد أَضجَجْتَ هذا الأنامَ مِنْ خُرُقِكْ

فأبو تمام أفرط وابتعد عن المألوف ، وفي ابتعاده إفراط أخرجه عن طريقة العرب ، فحاول القاضي الجرجاني رده إلى الوسطية بتمهيد القول في علة الرفض والاستهجان : " وهذه أمور متى حُمِلت على التحقيق، وطلب فيها محض التقويم أُخرجت عن طريقة الشعر، ومتى اتّبع فيها الرخص، وأُجريت على المسامحة، أدّت الى فساد اللغة، واختلاط الكلام. وإنما القصد فيها التوسط والاجتزاء بما قرب وعُرِف"[75].

[73] () من تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، طه حسين ، دار العلم للملايين ،بيروت لبنان ،ط4 ،1984. 2/ 111.
[74] () الوساطة بين المتنبي وخصومه : القاضي الجرجاني ، ص: 19- 20.
[75] () الوساطةبينالمتنبيوخصومه : القاضيالجرجاني، ص: 433.

لقد نجح القاضي الجرجاني في محاورة النقاد المتطرفين في مواقفهم من الشعر المحدث بعامة وشعر المتنبي بخاصة ، واستطاع بموقفه الوسطي في النقد من الاقتراب من الحقيقة بالإقرار بحق النقاد بالاختلاف وليس بالتناقض والتضاد ، فكان لنقده أثر في التعايش السلمي والأمن الفكري لوجهات نظر مختلفة .كما حاول جاهداً أن ينقي النقد من التحامل الشخصي وخلط الأدبي بغير الأدبي من خلال تعرية مواقف خصوم المتنبي الذين صبوا نقدهم له على شخصه ، ففاتهم في هذا الخلط قيمة شعره وتفرده ، فحاول القاضي أن يجعل للنقد أدوات معرفية ، وعدها شرطاً للنقد الحقيقي .

ونحن نرى أن الوسطية في النقد تستند إلى التوازن في الشخصية التي تنأى عن الإفراط والتفريط ، ولاسيما أن التوازن، والوسطية، والاعتدال صفة الفطرة الإنسانية ، ولذا فإن الخروج عن الوسطية يؤول بالنقد إلى التحول عن وظيفته في تقويم العمل الأدبي.

وقد ابتعد نقاد المغرب عن الصراع النقدي بين القديم والحديث الذي اشتد أواره في المشرق ، فكانوا أكثر اعتدالاً من خلال نظرتهم إلى الشعر في ارتباطه ببيئته وزمانه ومجتمعه ، فهم يرون أن الشاعر يرتبط ببيئته ارتباطاً يفرض عليه أراد أم لم يرد اللصوق النفسي بها ، ثم إنه لاينتظر منه أن يجيد الحديث عن غير مكانه وزمانه بمثل ما يجيد الحديث عن واقعه ، مما وسم نظرتهم بمسحة من الاعتدال ؛ إذ لم يتنكروا للقديم ، بل جعلوا المحدثين تلامذة القدماء ، ورأوا في نتاج العصر حينئذ امتداداً لذلك الماضي، وهذا ما أبعدهم عن الحدة النقدية ، وربما كان لاهتمامهم بجمال الصيغ أثر في صرفهم بعض الشيء عن الناحية اللغوية، الأمر الذي آل بهم إلى قبول التجديد والتوسع في باب أخذ المعاني ، وإباحة الضرورة ، طلباً لجودة الشعر وفرادة التجربة الشعرية .

ومطلب الجودة لايتحدد بزمان أو مكان محددين ، فقد " تختلف المقامات والأزمنة والبلاد ، فيحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره . وقد نجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله ... والذي أختاره أنا التجويد والتحسين الذي يختاره علماء الناس بالشعر ، ويبقى غابره على الدهر ، ويبعد عن الوحشي المستكره ، ويرتفع عن المولد المنتحل "[76]. فليست المسألة مسألة ماض أو حاضر ، وإنما هي مسألة التوافق والانسجام مع العصر والبيئة ومع دواعي القول وأغراضه ومقاماته . "والحكم بالجودة والرداءة لايراعى فيه إلا إيراد الكلام على ما يقتضيه راعيه والغرض منه ومقامه ، وإذا نظرنا إلى زمن القائل فلكي نعرف مدى تكيفه مع ومراعاته له ، لا لنعرف موقفه منه "[77]. فالنهشلي يرى الجمال بمنظور العصر، ومقاييسه ، وفي هذا توسط واعتدال في الموقف النقدي .

وينظر ابن رشيق إلى المسألة بكثير من الواقعية ، فأشار إلى أن كل قديم هو محدث في زمانه ، وكل حديث سيؤول فيما بعد إلى قديم بالنسبة لزمن لاحق [78] .

وتجلى الإنصاف لدى ابن شرف القيرواني من خلال ذكره سقطات القدماء والمحدثين[79]، وقد مادة طيبة من الالتزام بالحق في دراسته للقديم والمحدث ، وطلب من

---

[76]() العمدة في صناعة الشعر ونقده ، 1/ 141

[77]() النقد الأدبي في المغرب : عبده قلقيلة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط2 1988. ص: 86.

[78]()العمدة في صناعة الشعر ونقده ، 1/ 137

[79]() أعلام الكلام : ابن شرف القيرواني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 1926. ص: 33

الناقد التحفظ عن شيئين هما إجلال القديم واستصغار المعاصر لا لسبب إلا أن ذاك قديم وهذا معاصر ، حتى يمحص قولهما فحينئذ يحكم لهما أو عليهما [80] .
وقد بينت مواقف النقاد المغاربة أنهم آمنوا بسنة التطور ، وطالبوا الشاعر أن يعيش عصره ، ويرتبط ببيئته ، فكانت موازنتهم بين شعرين وليس بين عصرين ، لذلك لم يسلموا قصب السبق لأي من القدماء او المحدثين ، بل اعتمدوا الجودة مبدأ في المفاضلة بينهما . ولأول مرة نجد ناقداً لغويا مغربياً يهدي الشعراء والنقاد إلى ما يجب أن يقوموا به ، وهو القزاز القيرواني الذي حاول أن يسن للشعراء والنقاد على حد سواء طريق الإنصاف والعدل إيماناً منهم بمبدأ أن لا أحد يعرى من الخطأ سواء تقدم به الزمن أم تأخر . وقد
جاء موقفهم المعتدل رداً على التطرف في تفضيل القديم ، وهذا بدوره كان " مدعاة إلى فحص هذا القديم عند المعتدلين ، وتعديل تلك الحكام الجائرة التي اصدرها المتطرفون على المحدثين ، وقد اتضح أن كل حكم تاريخي لايقوم على التمحيص والدراسة يعد حكماً جائراً ، ولاشك ان النقد العربي قد حفل بكثير من تلك الأحكام الجائرة "[81]

الخاتمة :

يتبين مما تقدم أن الوسطية منهج تفكير وحياة في أمور الفكر بعامة ، من خلاله يتحقق الأمن الفكري ، والتعايش السلمي بين الجماعات المختلفة فكراً وثقافة ، مما يسهم في الأمن الاجتماعي .
ولهذا آمل أن يكون البحث توجيهاً للنقاد الشباب المندفعين في نقدهم ذماً أو مدحاً ، فلابد لهم من التروي والتوسط في مواقفهم بما يخدم الأدب العربي في عصرنا ، ويضع الآثار الأدبية في نصابها . فيبتعدون عن التطرف في مواقفهم ، ويؤدون الأمانة العلمية بكل تجرد من أهواء الذات ، وهذا ينطبق على مناحي الحياة التي يعكر صفوها الغلو والإفراط . ولايمكن أن يتم هذا إلا بالممارسة العملية لمنهج الوسطية الإسلامية ، واعتماد الحوار وسيلة للتعبير بدل التعنت والتعصب ، فالعصبية تطفئ نور القلوب والعقول ، ولاترى حسناً إلا في ظلال ذاتها.
فمن خلال التوسط في مواقفنا يفهم النشء أن الاختلاف حقيقة لايمكن تجاوزها ، ولعل الاعتصام بمنهج القرآن الكريم في الحكم على الآراء والأشياء والآداب والأشخاص بتقليب الأمور على وجوهها وتحري الحقيقة والموضوعية والعدل والتوازن حتى في العلاقات بين الدول . وهذا لايتم إلا بفهم تجارب أمتنا الفكرية والحياتية التي حملت وسطيتها في عقولها ، فتغلبت على وعثاء دربها ، وتجاوزت عقباتها من خلال الرؤية الوسطية الإسلامية.
فالوسطية كيفما تعددت معانيها تحقق السلام الفكري على أساس أن هذاالسلام إنما هو نتيجة طبيعية للمنهجية الوسطية، في عالم الفكر أو في عالم الحوار الفكري والثقافي العالمي القائم على الموضوعية الكاملة .

---

[80] () السابق ، 23 – 24 .
[81] () الأسس الجمالية في النقد العربي : عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، ط1 ، 1955. ص: 192.

لقد مر معنا أن من معاني الوسطية العدل والاعتدال والتوازن والتوافق ، وهي معاني كبرى وظيفتها في النهاية تحقق لكل إنسان السلام الفكري والروحي الذي يتحقق له بابتعاده عن النظرة الجانحة إلى الانحراف، إفراطاً وتفريطاً .

من هنا كانت الوسطية منهجا و طريقة تفكير ومنظومة تحليل، وأداة عقليةللاستقراء أو للاستنباط لدى النقاد الوسطيين الذين ترسخت في أذهانهم ثقافة الوسطية ومن ثم غدت لديهم أسلوب حياة .

وسواء فسرت الوسطية بالعدل أو الخير أو التعادل بين المتناقضات أو الاعتدال أو التوازن ، فإنها في التحليل النهائي تمثل قيمة خلقية أو معياراً ثابتاً يرتبط أشد الارتباط وأوثقه بقيمة العدل وقيمة الخير، ويشكل ما يشبه حجر الزاوية في بناء الحضارة الإسلامية، أو الأصل الذي تدور عليه أحكام الإسلام في شتى مجالاتها بدءاً بمجال العقيدة ومروراً بالتشريع وانتهاء بالسلوك.

مصادر البحث:

- **القرآن الكريم**
- أخبار أبي تمام : أبو بكر بن يحيى الصولي ، تحقيق : خليل محمود عساكر ، محمد عبده عزام ، نظير الإسلام الهندي ، قدم له : أحمد أمين، دار الأفاق الجديدة ، بيروت لبنان ، ط3 / 1980.
- الأسس الجمالية في النقد العربي : عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، ط1 ، 1955.
- أصول المجتمع الإسلامية ، د جمال الدين محمد محمود ، ، الناشرون: دار الكتاب المصري القاهرة ، دار الكتاب اللبناني - بيروت ، ط1، 1412هـ 1992م.
- أعلام الكلام : ابن شرف القيرواني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 1926.

البخلاء: الجاحظ، تحقيق طه الحاجري، القاهرة، دار المعارف، الطبعة السابعة،1990 م

- البنية الجمالية في الفكر العربي الإسلامي : د. سعد الدين كليب ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ، 1997.
- البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ومطبعة المدني بمصر ، ط7 ، 1998.
- تاريخ النقد الأدبي عند العربي من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط3، 1981.
-تاريخ النقد الأدبي والبلاغة : محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية (د. ت) .

- تراثنا النقدي دراسة في كتاب الوساطة، سيد فضل، منشأة المعارف، الإسكندرية (د.ط) (د.ت)
- تفسير القرآن العظيم ، الحافظ ابن كثير ، دار الحديث – القاهرة ، ، ط1، 1408هـ 1988م .
- تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، مكتبة القاهرة (د.ت).
- حضارة العرب ، غوستاف لوبون ، ترجمة : عادل زعيتر ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2013.
- الحيوان، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة بابي الحلبي ، مصر ، ط2 ، 1965.
- الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم : عثمان موافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط3، 1995.
- رسائل الجاحظ: الجاحظ،شرح وتعليق محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت)
- الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي و ساقط شعره : الحاتمي ، تحقيق محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، 1965.
- الشعر والشعراء : ابن قتيبة، تحقيق : أحمد محمد شاكر، دار المعارف ، القاهرة (د. ت)
– الصبح المنبي عن حيثية المتنبي : يوسف البديعي ، تحقيق : مصطفى السقا و محمد شتا و عبده زيادة عبده ، دار المعارف ، القاهرة ، ط3 (د. ت) .
-عالمية الإسلام ، أنور الجندي ، سلسلة اقرأ 24، دار المعارف،
-العقد الفريد، ابن عبد ربه، شرحه ضبطه وصححه أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي، بيروت، 1986.
- العمدة في صناعة الشعر ونقدة ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق ، النبوي عبد الواحد شعلان ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط1 ، 2000.
- عيار الشعر ، ابن طباطبا ، تحقيق : عبد العزيز بن ناصر المانع ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1985.
- فحولة الشعراء للأصمعي ، تحقيق : المستشرق ش. توري ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ، 1400هـ 1980 م .
- في النقد الأدبي : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط9 د. ت). ص: 57.
- القاضي الجرجاني الأديب الناقد، محمد السمرة، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1979.
- الكامل في اللغة والأدب : المبرد ، تحقيقي: عبد الحميد هنداوي ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية (د.ت).

- اللفظ والمعنى بين الإديولوجيا والتأسيس المعرفي للعلم: طارق النعمان، سينا للنشر، الطبعة الأولى. 1994م.
- مجموعة رسائل الجاحظ (ساسي)، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط1، 1324هـ 1907.
- مرض القلق : دفيد – ف – شيهان ، ترجمة : عزت شعلان ، مراجعة : عبد العزيز سلامة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، عالم المعرفة ، 1986 .
- معايير النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري. أحسن مزدور، مكتبة الأدب، القاهرة ، ط2 ، 2008 .
- مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، مؤسسة نوفل، بيروت، 1981م، ط2.
مفهوم النقد الأدبي في كتاب الوساطة للقاضي الجرجاني، دراسة ل: بالقاسم مالكية، مجلة الأثر، الجزائر،العدد (1) ، 2002.
- مقومات الداعية الناجح ، د علي بن عمر بن أحمد بادحدح ، دار الأندلس الخضراء – جدة ، ط4 1422، هـ 2002م.
- من تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، طه حسين ، دار العلم للملايين ،بيروت لبنان ، ط4 ،1984.
- المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره ، ابن وكيع التنيسي ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار قتيبة ، دمشق ، 1982 . ص: 178
- المنصف للسارق والمسروق منه : ابن وكيع التنيسي ، حققه وقدم له : عمر بن خليفة بن ادريس ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي، ط1 ، 1964.
- النقد الأدبي في المغرب : عبده قلقيلة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط2 1988.
- نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان (ب. ت) .
- الوساطة بين المتنبي وخصومه : القاضي الجرجاني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، طبعة عيسى بابي الحلبي ، القاهرة (د. ت) .
-الوسطية في الإسلام للدكتور محمد عبد اللطيف الفرفور ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، ط2، 1414هـ / 1993.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق : مفيد محمد قميحة , دار الكتب العلمية , لبنان بيروت , ط1 1983.